

فلسفة الغدير

المناسبة: عيد الغدير الأغرّ

الزمان والمكان: 18 ذي الحجة 1421هـ – طهران

الحضور: جموع غفيرة من أبناء الشعب الإيراني المسلم

أجواء الكلمة

أطلّ عيد الغدير للمرّة الثانية خلال العام الهجري الشمسي؛ العام الذي سُمّي بعام أمير المؤمنين الإمام علي (ع)، ولعل الكثير من المسلمين لم يدرك لحد الآن المفهوم الصحيح لهذه الواقعة العظيمة؛ أي تنصيب أمير المؤمنين (ع) وأنه امتداد لبعثة الأنبياء؛ من أجل بلوغ الإنسان لتلك الحياة السعيدة التي يحلم بها؛ أي الكمال.

وقد جاءت الثورة الإسلامية والصحة الإسلامية ومنحت البشرية فرصة أخرى للتفكير ملياً والتأمل في فلسفة الغدير، والانعقاد من قيود الأنانية والشهوانية والتبعية للطواغيت؛ حيث بلغ صدى هذه الثورة المباركة ونداؤها أعماق نفوس الشعوب وأفئدة الشباب رغم حجم الإعلام المعادي ضدها.

وقد أشار قائد الثورة الإسلامية إلى هذه النقطة، وأكد ضرورة أن تتسم أقوال وأفعال وسلوك المسؤولين والشعب الإيراني باسم الإسلام ورسالته بكل قوة وشجاعة دون أي خوف أو وجل من الأعداء وأبواقهم الدعائية.

العناوين الرئيسية في كلمة قائد الثورة الإسلامية:

— المفهوم الصحيح لواقعة الغدير.

— عهد صاحب الأمر (عج) هو منطلق السعادة للبشر.

— الثورة الإسلامية استمرار لخط الغدير.

— رسالتنا رسالة العدل وخلص البشرية.

بسم الله الرحمن الرحيم

أبارك للحاضرين الكرام وللشعب الإيراني العزيز وكافة المؤمنين والأحرار في العالم هذا العيد الأغر، وأرحب بكم أيها الإخوة والأخوات الأعزاء لاسيما عوائل الشهداء المكرمة، وكذا الأعزة الذين شرفونا من مناطق بعيدة.

المفهوم الصحيح لواقعة الغدير

للمرة الثانية يطل علينا عيد الغدير خلال هذا العام، وكان الأول قد مرّ علينا مطلع العام 1379[هـ ش]. وعيد الغدير عيد في غاية العظمة، ويعد واقعة تاريخية كبرى فيها من الدروس ما إن استوعبته الأمة الإسلامية فإنها ستجني الفائدة الحقيقية من هذا اليوم؛ ففي واقعة الغدير أعظم الدروس، فهي من الحوادث المسلّم بها في التاريخ الإسلامي، وليس الشيعة وحدهم الذين رووا حديث الغدير، بل هنالك الكثير من بين علماء السنة ومحدثيهم الذين رووه أيضاً، ونقلوا الواقعة كما نقلها الشيعة، وقد شابه العلماء من شهد تلك الواقعة في فهمهم لفعل رسول الله (ص) عندما رفع يد أمير المؤمنين (ع) قائلاً «مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَهَذَا عَلِيٌّ مَوْلَاهُ»¹؛ أي أنه (ص) نصّب أمير المؤمنين خليفة له.

ولسنا هنا بصدد الدخول في قضية الشيعة والسنة واختلافاتهم وسجالهم العقائدي، فيكفي الأمة الإسلامية ما تجرّعته من ويلات الاختلاف بين الشيعة والسنة حتى يومنا هذا! غير أنّ ما ينطوي عليه كلام النبي (ص) حريّ بأن يفهم فهماً صحيحاً، فالنبي (ص) قد نصّب أمير المؤمنين (ع).

¹ مسند احمد: ج4، ص 370.

لقد بُعث النبي ليعلم الناس ويزكيهم {يعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم}²، وورد في مواضع أخرى {يزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة}³.

فلا بدّ من تعليم الناس وتزكيتهم أيضاً؛ كي يتسنّى لهذا المجتمع البشري الكبير الذي يقطن هذه المعمورة أن يطوي طريق الكمال كأسرة متوحّدة سليمة، ويتنعم بما في هذا العالم من خيرات، وهذا هو الهدف من بعث الأنبياء؛ فكل من بعث منهم (عليهم السلام) أنجز هذه المهمة العظمى في التربية والتعليم بما كانت تسمح به الإمكانيات المتوفّرة في زمانهم، وكان على الدين الخاتم والنبي الخاتم (ص) أن يضيف على هذا التحرك الإلهي العملاق طابع الأبدية، فليس هنالك من نبي يأتي بعده حتى تحط البشرية رحالها عند المحطة الأخيرة من حياتها في هذا العالم — حيث يفترض أن تنسم حياة البشرية على هذا الكوكب الأرضي بالوئام والسلام والعدل، ويغمرها بخيرات هذا العالم — وتنتقل إلى العالم الآخر، فأنى يتسنّى السير بالبشرية نحو تلك الدار؟ إنه يتحقق عندما تتواصل عملية التربية إلى جانب التعليم المتواصل الذي تمارسه الحكومة والنظام السياسي الذي يشابه النبي (ص) — وهو المعصوم — حيث يقود المجتمع البشري ويتولّى تربيته وتهذيبه من العوالم الذميمة؛ كي تبلغ البشرية تلك المحطة التي تمثّل منطلقاً للحياة السعيدة التي تحلم بها الإنسانية، وذلك ما نعبر عنه بعهد ولي العصر (أرواحنا فداء).

عصر صاحب الأمر (عج) تتنعم البشرية بالسعادة الحقيقية

إنّ عهد صاحب الأمر (أرواحنا فداء) هو منطلق الحياة البشرية وليس فناءها، ففيه ستطلق الحياة الحقيقية للإنسان والسعادة الواقعية لهذا الكيان البشري الكبير، ويتيسّر للإنسان التمتع بالخيرات التي تضمّها هذه الأرض والمواهب والطاقات الكامنة في هذا الكون دون أي ضرر أو خسارة.

صحيح إنّ البشر في وقتنا الراهن ينتفعون بشيء لكنهم في المقابل يلحقون الضرر بشيء آخر؛ فقد اخترعوا الطاقة النووية لكنهم استخدموها لقتل الإنسان، واستخرجوا النفط من أعماق الأرض لكنه يستخدم لتدمير البيئة وتلويثها، وهو ما حصل خلال القرن

² سورة البقرة، الآية: 129.

³ سورة آل عمران، الآية: 164.

الأخير، حيث اخترع الإنسان الآلات المحركة والطاقات الكامنة من قبيل قوة البخار وغيرها، لكنهم جرّعوا الإنسانية شتّى الابتلاءات البدنية عن طريق المشاكل التي تخلفها الحياة المادية لبني البشر؛ إنها توفر السرعة والسهولة للإنسان لكنها تسلب منه الكثير.

ومن ناحية أخرى يعاني الإنسان المعاصر من تحطيم القيم الأخلاقية، بيد أن القضية تختلف عندما يظهر بقية الله (أرواحنا فداء)، حيث تنتعم البشرية بمواهب هذا الكون، وما تتطوي عليه الطبيعة من طاقات وخيرات دون أن يلحق بها الضرر أو الخسارة، تنعماً يؤدّي بالإنسان إلى الرقي والكمال.

لقد جاء الأنبياء ليبلغوا بنا تلك المحطة التي تنطلق منها حياة البشرية من جديد، فماذا يتحتم على خاتم الأنبياء (ص) أن يصنع إذا ما أراد إيصال البشرية إلى هذه المحطة بما يقتضيه الدين الخاتم؟ يجب أن تستمر تلك التربية التي وفرّها للناس وتتواصل جيلاً بعد جيل، فهو (ص) لا محالة راحل عن الدنيا {إنك ميّت وإنهم ميتون}⁴، فعليه (ص) إذاً أن يستخلف من يحذو حذوه على وجه الدقة في ذلك الدرب والمنحى ويتبع نفس منهجه؛ وذلك هو عليّ بن أبي طالب (ع)؛ وهذا ما يعنيه التنصيب في يوم الغدير.

لو كانت الأمة الإسلامية قد وعت يومها عملية التنصيب التي بادر إليها النبي (ص) بمغزاها الحقيقي وأحسن استيعابها واقتفت أثر علي بن أبي طالب (ع) وتواصلت التربية النبوية، وظلّ المعصومون من بعد أمير المؤمنين (ع) الأجيال البشرية المتعاقبة بظلال تربيتهم الإلهية بعيداً عن الهفوات كما صنع رسول الله (ص)، لأفلحت البشرية في بلوغ المستوى الذي عجزت عن بلوغه لحد الآن بسرعة فائقة، من تطوّر في العلم البشري وتسام في المراتب الروحية للإنسان، واستتباب للسلام والوئام بين الناس، وزوال للظلم والجور وإنعدام الأمن والتمييز والحيث بين الناس، وهذا ما صرّحت به فاطمة الزهراء (سلام الله عليها) — التي كانت أعرف أهل زمانها بمنزلة النبي وأمير المؤمنين — من أن الناس لو اتبعوا علياً لسلك بهم هذا الطريق وبلغ بهم هذا المآل. غير أن الإنسان كثيراً ما يقع في الأخطاء.

طالما أوقعت الأخطاء الكبرى، التي شهدتها التاريخ، الإنسانية في خضم من المحن الجسام، وإن مسيرة البشرية خلال عهد خاتم النبيين (ص) زاخرة بالحوادث والقصص

⁴ سورة الزمر، الآية: 30.

المهمة وتتطوي على فلسفة غاية في العمق، ونحن إذ نعيش عام أمير المؤمنين (ع) — وهذا العام وغيره من الأعوام إنما هي أعوامه (ع) أيضاً — خليق بأن تحظى هذه الفلسفة بمزيد من التأمل والتمحيص، وعلى البشرية المعاصرة أن تبادر إلى نفس تلك الحركة والمسعى، وكلما تزيّنت المجتمعات البشرية بالعدالة والمعنويات وتترّفت الإنسانية عن رذائل الأخلاق والأنانية والنوايا السيئة والنزعات الشهوانية وحب النفس؛ إذ ذاك ستكون أكثر قرباً من ذلك في المستقبل، فلقد وقعت البشرية ضحية الانحرافات على مدى التاريخ، وسلكت طريقاً ابتعد بها كثيراً عن غايتها المنشودة.

الثورة الإسلامية استمرار لخط الغدير

لقد منحت الثورة الإسلامية — اليوم — فرصة أخرى للبشرية المعاصرة، فهذه الصوحة الإسلامية الراهنة تمثل فرصة أخرى من بين الفرص التي أتيحت عبر التاريخ، وهي قليلة على مدى التاريخ الإسلامي، ومن النادر أيضاً أن ترسو هذه السفينة المنقذة التي يقودها الإسلام ويدير دفتها القرآن وسط أمواج متلاطمة من بحر الماديات وسحق القيم الأخلاقية والمعنوية وتدعو الناس إليها؛ فالقضية ليست قضية حدث عابر، بل هي قضية شعب تشبّت بهذه السفينة، وسائر الشعوب ناظرة إلى كيفية اعتناق شعب من نير حكومة تعسّفية ومن الفساد والتبعية للطواغيت ومستكبري العالم عن طريق سفينة الإسلام.

ليعلم الجميع — لاسيّما الشباب الذين يتعيّن عليهم التحلّي بالمزيد من الانتباه — أنّ صدى الثورة ونداءها ومعالمها وتجربتها قد ترسّخت اليوم أكثر على المستوى العالمي، وليس هنالك أي توقع بأن تعكس وسائل الإعلام المعادية التي أربعها نداء الإسلام هذه الأصداء العالمية، بل تنقل ما يعاكسها.

أما حقيقة الأمر فهي أنّ صدى حركة الشعب الإيراني قد نفذ إلى أعماق نفوس العالمين في أرجاء المعمورة وليس على مستوى العالم الإسلامي فقط، ولقد تعلّقت أفئدة الشباب أكثر من غيرهم في الكثير من البلدان الإسلامية بنداء الإسلام، في حين لم يكن أي وجود لهذا التعلّق خلال الفترة التي سبقت انتصار الثورة الإسلامية وقيام الحكومة الإسلامية في بلدنا؛ إنه استمرار لخط الغدير، ورسم لخط لاحب أمام البشرية؛ كي تبلغ

في ظلاله المآل الذي بشرّ به الأنبياء والمصلحون جميعاً، من أنّ البشرية ستنتال يوماً الخلاص.

إننا اليوم — مسؤولين و جماهير — مسؤولون أزاء قضية الغدير، وعلى مسؤولي البلاد بذل الجهود لتنظيم أفعالهم وتصرفاتهم وحركاتهم وسكناتهم ونواياهم، بحيث تتسجم مع أهداف الإسلام التي هي أهداف الغدير، وإنّ أثار ذلك حفيظة الدنيا بأكملها، لاسيّما الشركات الصهيونية، وسلطويي العالم وناهييه، وبأدروا إلى شنّ هجماتهم الإعلامية، فلا خوف من ذلك، إذ إنّ دعائم الثورة أكثر رسوخاً اليوم، ولا قدرة لهذه العواصف على زعزعة هذا الصرح الشامخ، فمّمّ يخافون؟ وماذا يحذرون؟ فهناك البعض ممن يتقيّدون على صعيد التخطيط والتنفيذ واتخاذ القرار والتصريح والمواقف خشية أن تتطرق إذاعة ما تابعة لجهاز مخابراتي معيّن بالحديث عن هذا الشخص أو ذاك!

رسالتنا رسالة العدل و خلاص البشرية

إنّ رسالة الإسلام رسالة جذّابة؛ ورسالتنا رسالة العدل و خلاص البشرية و شريحة الشباب بالذات، وإذا ما أشرنا إلى الشباب فإننا لا ننظر إلى شبابنا فحسب، فإن جيل الشباب في العالم أجمع غارق في وحل الشقاء والتعاسة، وإنّ الآلام والضغوط العصبية والنفسية والغموض الذي يلفّ المستقبل، تعصف بجيل الشباب في كل أرجاء المعمورة؛ نتيجة لابتعادهم عن المعنويات.

على المسؤولين أن يتخذوا مواقفهم ويدلّوا دلوهم، ويمارسوا أعمالهم باسم الإسلام ورسالته وفي سبيله، بكل شجاعة واقتدار دون اكتراث بهذا أو ذاك؛ وليعلم شعبنا العزيز والشباب على وجه التحديد: أنّ هذا الدرب الذي رسمه الإسلام والقرآن وخط الغدير طريق لاحب يعززه الاستدلال والفلسفة الرصينة، وقد سلكه العظام من ذوي المنزلة الرفيعة، وقد شاع هذا الخط في عالمنا اليوم — والحمد لله — ولم نعد نعانى من العزلة والانزواء، بل إنّنا اليوم نقف في صميم اهتمامات الشعوب لاسيّما الإسلامية منها.

إنه طريق صائب ومحمود العواقب، ولا بدّ من مواصلته والمضي قدماً فيه خطوة خطوة بهمة المسؤولين وبدعم مختلف طبقات الشعب، وهو وإن لم يكن طريقاً قصير

المدى غير أنه هو الذي سيؤول في خاتمة المطاف إلى خلاص البشرية، وهو الطريق الذي سيمهّد بإذنه تعالى لظهور المهدي الموعود «صلوات الله عليه وعجل الله فرجه».

أسأله تعالى أن يبارك لكم – أيها الأعضاء الحاضرون في هذا المحفل – هذا العيد السعيد ولكافة أبناء الشعب الإيراني العظيم وجميع المؤمنين في العالم، ويمنّ عليكم جميعاً ببركاته ويجعلكم ممن تشمله الأدعية الزاكية لبقية الله الأعظم، ومن المنتظرين الواقعيين للقاء هذا الرجل العظيم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته